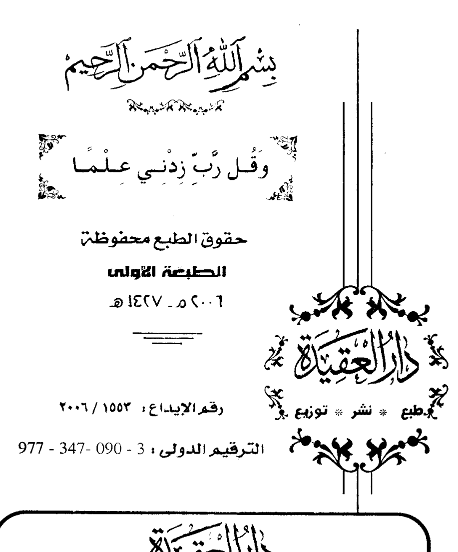
ومضات مفيدة على طريق طلب العلم

تأليف

أبي أسامة الأثري

دار العقيدة



بسم الله الرحمن الرحيم

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا

الطبعة الأولى

٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ

رقم الإيداع : ١٥٥٣ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولى : 3 - 090 - 347 - 977

دار العقيدة

الإسكندرية: ١٠١ ش الفتح باكوس ت: ٠٣/٥٧٤٧٢٢١ ف: ٠٣/٥٧٦٥٦٢١

القاهرة: ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر ت: ٠٠٢٠٢/٥١٤٣١٧٤

E-mail: dar_alakida@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُه ونستغفره، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ لَهُ ومن يُضلل فلا هاديَ لهُ. وأشْهَدُ أن لا إله إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، واشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران ١٠٢].

﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [سورة النّساء ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب ٧٠ - ٧١].

أمَّا بعد ...

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ تعالى ، وخيرَ الهدي هديُ مُحمَّدٍ ﷺ ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها ، وكُلَّ مُحدَثَةٍ بدعةٍ ، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ .

هذه رسالة لطيفة في آداب العالم والمُتعلم تشتمل على جملة من الومضات التي تنير الطريق ، وتفتح المغاليق ، جمعتُها من كتاب « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان » للعلامة / عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه اللّه وجعل الجنّة مثواه– .

وجدت فيها نصائح غالية لداعية من أبرز دعاة زمانه جمع فيها خُلاصةُ تجربته في التّعليم والتّعلم ، فقد كان الشيخ – رحمه اللّه – قائمًا بأمر التدريس والتعليم في مدينة « عنيزة » حتى مات ، لذلك تشتم الباع الطويل والخبرة الواسعة في هذه الجُملة من النصائح .

لعلَّ اللّه ينفع بها جامعها في الدنيا والآخرة ، يوم لا ينفع مالٌ

ولا بنون ، إلا من أتى اللَّه بقلب سليم ، وأنْ ينفع بها صاحب الأصل ويجعلها ذخيرة له في القبر ، وعند العرض ، ومن العلم الذي ينتفع به المرء بعد موته ، وأنْ ينفع بها قارئها بالتَّحلي بما ورد فيها من آداب مُتعلقة بالعالم والـمُتعلم ، إنَّه نعم المولى ، ونعم النصير .[١]

جمعها
أبو أسامة الأثري

---

(١) وبعد جمعي لمادة هذه الرسالة وقفت على رسالة صغيرة الحجم كثيرة النَّفع للعلامة السعدي – رحمه الله – اسمها : « فوائد في آداب المعلمين والمتعلمين »، وهي جزء من كتاب : « نور البصائر والألباب في أحكام العبادات والمُعاملات والحقوق والآداب »، فوجدت فيها بعض الأصول والفصول المُتعلقة بموضوع رسالتنا فقررت أنْ أضم منها بعض الفصول والإشارات والتَّنبيهات الموضِّحة لما جاء في كتاب : « تيسير الكريم الرحمن »، مما يُدعم مادة هذه الرسالة، على أنْ أشير في نهاية كل فقرة إلى مكانها الذي اقتبسته منها.
وربما وجدت شيئًا منثورًا في كتب العلَّامة السعدي يتلاءم مع موضوع الرسالة التي نحن بصددها فأضمه إليها إتماما للفائدة .

ترجمة العلَّامة

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

هو العلَّامة أبو عبد اللَّه عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعدي .

من قبيلة تميم .

وِلِدَ في بلدة « عنيزة » في « القصيم » ، بتاريخ ١٢ المُحرَّم عام ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة .

وتُوفيت أمُّه وله أربع سنين ، ولحق بها أبوه وهو ابن سبع سنين فنشأ -رحمه الله- يتيمًا ، ولكنه كان متوقِّد الذكاء، قوي الحفظ ، فقد أتمَّ حفظ القُرآن وهو ابن أحد عشر سنَّة .

واشتغل بعد ذلك في التَّعلُّم على عُلماء بلده ، وعلى من قدِمَ إليها من العُلماء ، فاجتهد حتَّى نال نصيبًا وافرًا من العلم الشَّرعي ، وجلس للتَّدريس لمَّا بلغ من العمر ثلاثًا وعشرين عامًا ، حتَّى صار إليه التَّدريس في بلده عام ألف وثلاثمائة وخمسين .

❋ شيوخه :

تلقى الشيخ – رحمه اللَّه – العلم على يد ثُلة من العُلماء

الأجلاء المشهود لهم بالعلم والدِّيانة ، مما كان له أكبر الأثر في شخصيته ، وكتاباته بعد ذلك ، منهم :

ـ الشَّيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر :

وكان الشَّيخ السَّعدي يصفه بحفظه للحديث ، ويتحدَّث عن ورعه ، ومحبته للفقراء والمساكين ومواساته لهم ، وكان كثيرًا ما يأتيه الفقير في اليوم الشاتي فيخلع أحد ثوبيه ويُلبسه الفقير مع حاجته إليه وقلة ذات اليد .

ـ الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الكريم الشبل :

قرأ الشَّيخ عليه الفقه ، وعلوم العربية وغيرها .

ـ الشَّيخ صالح بن عُثمان ، قاضي عنيزة :

وهو أكثر من قرأ عليه الشَّيخ السعدي ، ولازمه مُلازمة تامة حتى تُوفي .

وقرأ عليه في : التَّوحيد ، والتَّفسير ، والفقه وأصوله وفروعه ، وعلوم العربية .

ـ الشَّيخ على الناصر أبو واداي :

قرأ عليه في : الحديث ، وأخذ عنه الأمَّهات السّت ، وأجازه في ذلك .

ـ الشَّيخ محمد بن الشَّيخ عبد العزيز بن المُحمد المانع : مُدير المعارف في المملكة السّعودية .

وقد قرأ عليه الشَّيخ في عنيزة .

ـ الشَّيخ مُحمَّد الأمين المُختار الشَّنقيطي .

وأخذ عليه لمَّا نزل « عنيزة » وجلس فيها للتدريس .

قرأ عليه في : التفسير ، والحديث ومصطلحه ، وعلوم العربية كالنحو والصَّرف .

ـ الشَّيخ عبد اللَّه بن عايض .

ـ الشَّيخ صعب التويجري .

ـ الشَّيخ علي السناني .

وقد انتفع الشَّيخ السعدي – رحمه اللَّه – كثيرًا من كُتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم – رحمهما اللَّه – .

* **أهم مؤلفاته :**

للشيخ مؤلفاتٍ عديدة ، كُلها نافعة لا يستغني عنها طالب علم ، منها :

- « تيسير الكريم الرحمن » :

وهو من أعظم كُتب الشَّيخ وأكثرها فائدة ، وقد كتبه الشَّيخ وعمره «٣٤» عامًا .

وقد قُمتُ بتحقيقه ولله الحمد والمنَّة .

- « إرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطُّرق وأيسر الأسباب » .

وهو مُختصرٌ نافعٌ جدًا في الفقه .

- « مُختصر في أصول الفقه » .

ويُطلق عليه : « تيسير أصول الفقه » .

وطُبع غير مرة باسم : «رسالة جامعة في أصول الفقه المُهمَّة » .

وهو مُختصرُ نافع جدًا في بابه ، مزج فيه المؤلف - رحمه اللَّه

- بين المادة الأصولية والقواعد الفقهية.

ولي شرحٌ عليه سميته: «غاية المأمول في شرح تيسير الأصول».

- القول السّديد في مقاصد التّوحيد:

وهو شرحٌ لطيف على كتاب «التوحيد» لشيخ الإسلام مُحمد بن عبد الوهّاب - رحمه اللّه -.

- «توضيح الكافية الشّافية».

وهو حاشية على نونية العلاّمة ابن القيم رحمه الله.

- «الحقُّ المُبين في شرح توحيد الأنبياء والمُرسلين».

- «القواعد الحسان لتفسير القرآن».

- «القواعد والأصول الجامعة والفروق والتّقاسيم البديعة النّافعة».

وله غير ذلك الكثير من المؤلفات القيّمة التي يُنصح بقراءتها.

تُوفي بعد سنة ١٣٧٦هـ، بعد عمر دام قُرابة ٦٩ عامًا في مدينة «عنيزة»، من بلاد «القصيم».

ومضات مفيدة
على طريق طلب العلم الشرعي

الومضة الأولى:

تحصيلُ العلم الشرعي مطلبٌ ضروري

(قد أمر اللَّه بتعلم جميع العلوم النَّافعة ، لاسيما علم ما أنزل اللَّه على رسوله من الكتاب والحكمة ، الذي يجمع كلَّ علم نافع ، وأمر بسؤال أهل العلم لمن لم يعلم ، وأخبر برفعتهم في الدُّنيا والآخرة ، وأنهم سادات الخلق في دنياهم وأُخراهم ، وأئمتهم الذين بهم يقتدون ، وعلى آثارهم يهتدون ، وعلى طريقتهم يسلكون .

فالعلم : يَقصر التعبير عن كُنه [٢] فضله ، وعلو مرتبته ، ويكفى في هذا أنَّ جميع الأقوال والأفعال والإرادات متوقفة في صحتِّها وفسادها ، وكمالها ونقصها ، وفي جميع صفاتها على العلم ، ما حكم به العلم من ذلك فهو كما قال .

وإنَّ العلم نورٌ للصُّدور وحياة للقلوب ، به يُعرف الله ، وبه

(٢) الكُنه: بضم الكاف، وسكون النون الموحدة، حقيقة الشئ وجوهره.

يُعبد ، وبه يُعرف الحلال من الحرام ، والطَّيب من الخبيث ، وبه يُميَّز بين الأبرار والفُجَّار ، وأهل الجنَّة وأهل النَّار .

والعلم : يُقوِّمُ ما اعوجَّ من الصِّفات ، ويُكمِل ما نقص من الكمالات ، ويَسدُ الخلل ، ويُصلحُ العمل ، وبه صلاح الدِّين والدُّنيا ، وبضده فساد ذلك ونقصه .

العلم مِيراثُ الرَّسول ، والعُلماءُ ورثة الأنبياءِ ، فإنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا إلا العلم ، فمن أخذَ به أخذَ بحظٍ وافر[3]، ولولا العلم

---

(٣) حديث حسن.

أخرجه أبو داود في سننه : (كتاب العلم / باب الحث على طلب العلم / ح ٣٦٤٢).

قال: حدثني مُحمَّد بن الوزير الدِّمشقي، قال: لَقيت شَبيب بن شيبة، فحدَّثني عن عثمان بن أبي سودة، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ به.

وقد رُوي من طريق آخر فيه ضعف.

لذا قال الحافظ في « فتح الباري » ١/١٦٠: (أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم مُصححًا من حديث أبي الدرداء، وحسنه حمزة الكناني، وضعفه عندهم باضطراب في سنده، وله شاهد يتقوى به). اهـ

لكان النَّاس كالبهائم ، والحاجة إلى العلم أعظمُ من الحاجة إلى الطَّعام والشَّراب .

والعلوم النَّافعة : هي العلوم الشَّرعيَّة ، وما أعان عليها من علوم العربية بأنواعها(٤) ، ومن العلوم الشرعية تعلُّم الفنون المُعِينة على

(٤) قال ابن قدامة – رحمه الله – في « مُختصر منهاج القاصدين ص ٩:
« أمَّا العلوم الشَّرعية فكلها محمودة، وتنقسم إلى أصول، وفروع، ومقدمات، ومُتممات.

فالأصول : كتاب اللَّه ، وسُنَّة رسوله ﷺ ، وإجماع الأمة ، وآثار الصَّحابة.

والفروع: ما فُهم من هذه الأصول من معانٍ تنبهت لها العقول حتى فهم من اللفظ الملفوظ غيره ، كما فهم من قوله: لا يقضي القاضي وهو غضبان. مُتفق عليه، أنَّه لا يقضي وهو جائعًا.

والمُقدمات: هي التي تجري مجرى علوم الآلات كعلم النَّحو، واللغة، فإنَّها آلة لعلم الكتاب و سُنَّة رسول الله ﷺ .

والمُتممات: كعلم القراءات ومخارج الحروف، وكالعلم بأسماء رجال الحديث وعدالتهم، وأحوالهم.

فهذه هي العلوم الشَّرعية، وكلها محمودة).اهـ

الدِّين ، وعلى قوة المسلمين ، وعلى الاستعداد للأعداء والـمُقاوَمة والـمُدافعة ، فإنَّها داخلةٌ في الجهاد في سبيل الله ، فكل أمرٍ أمرَ به الشَّارع ، وهو يتوقف على أمور كانت مأمور بها(٥). والله أعلم) .

(فتح الرَّحيم الملك العلام) ص١٠٥ .

---

(٥) قال المُصنف – رحمه الله – في « تيسير الكريم الرحمن » عند قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ ...﴾ الآية سورة النساء ٦٠ .

(أي: ﴿وَأَعِدُّوا﴾ لأعدائكم الكفار السَّاعين في هلاككم، وإبطال دينكم ﴿ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية، والبدنية، وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يُعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصِّناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من: المدَّافع، الرَّشاشات، والبنادق، والطَّيارات الجوية، والمراكب البرية، والبحرية، والقلاع، والخنادق، والآلات الدفاع، والرأي، والسِّياسة التي يتقدم بها المسلمون، ويندفع بها شر أعدائهم، وتعلم الرَّمي، والشَّجاعة والتَّدبير .

ولهذا قال رسول الله ﷺ : ألا إنَّ القوة الرمي.

ومن ذلك الاستعداد بالمراكب المُحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال =

....

* * *

= تعالى : ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وعدوكم﴾، وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب العدو، والحكم يدور مع علته .
فإذا كان شئ موجود أكثر إرهابًا منها، كالسيارات الهوائية المُعدَّة للقتال التي تكون النِّكاية فيها أشد، كانت مأمورٌ بالاستعداد بها، والسَّعي لتحصيلها، حتى إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة وجب ذلك؛ لأن: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).اهـ

الومضة الثَّانية :

مُسمى العلم الصَّحيح

لقد غلط كثيرٌ من النَّاس في مُسمَّى العلم الصَّحيح الذي ينبغي ويتعينَّ طلبه والسَّعي إليه على قولين مُتطرِّفين : أحدهُما أخطر من الآخر .

فالأوَّل : قول من قَصَرَ العلم على بعضِ مُسمَّى العلم الشَّرعي ، المُتعلِّق بإصلاح العقائد والأخلاق والعبادات ، دون ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة من أنَّ العلم يشمل علوم الشَّرع ووسائلها ، وعلوم الكون ، وهذا قول طائفة ممن لم تتبصر بالشَّريعة تبصرًا صحيحًا ، ولكنَّهم الآن بدءوا يتحللون من هذا الإطلاق ، لمَّا رأوا من المصالح العظيمة في علوم الكون ، وحين تنبه كثيرٌ منهم لدلالات نصوص الدِّين عليه .

والثَّاني : قول من قَصَرَ العلم على العلومِ العصريَّة ، الَّتي هي بعض علوم الكون . وهذا القول إنَّما نشأ من انحرافهم عن الدِّين وعلومه وأخلاقه . وهذا غلطٌ عظيم حيثُ جعلوا الوسائل هي

المقاصد ، وحيثُ نفوا من العلوم الصَّحيحة والحقائق النَّافعة ما لا تُنسب إليه العلوم العصريَّة بوجهٍ من الوجوه ، وغرَّهم ما ترتَّب عليهم من الصِّناعات والـمُخترعات . وهؤلاء هم الـمُرادون بقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون ﴾ [سورة غافر ٨٣] .

فهم فرحوا بعلومهم واستكبروا بها واحتقروا علوم الرُّسل ، حتَّى نزل بهم ما كانوا به يستهزؤون من الحق ، ونزل بهم العذاب الذي وُعِدَ به من كذَّب الرُّسل ، عُذِّبوا في الدُّنيا بالختم على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وعموا عن الحق ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِن وَاقٍ ﴾ [سورة الرَّعد ٣٤] .

أمَّا مدلول العلم النَّافع ومُسمَّاه الذي دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة فهو : كل علم أوصل إلى المطالب العالية ، وأثمر الأمور النَّافعة ، لا فرق بين ما تعلَّق بالدُّنيا أو بالآخرة ، فكُل ما هدى إلى السَّبيل ورقَّى العقائد والأخلاق والأعمال فهو من العلم .

وقُسّمت العلوم إلى قسمين : مقاصد ، ووسائل توصل إليها وتُعين عليها .

والمقاصد هي : العلوم المُصْلِحة للأديان .

والوسائل : ما أعان عليها من علوم العربيّة بأنواعها ، ومن علوم الكون التي ثمرتها معرفة اللّه ومعرفة وحدانيته ، وكماله ، ومعرفة صدق رُسله .

وثمرتها : الاستعانة بها على عبادة اللّه وشُكره ، وعلى قيام الدّين . فإنَّه أخبر أنَّه سخَّر لنا هذا الكون ، وأمرنا أنْ نتفكر فيه ونستخرج منافعه الدِّينيَّة والدُّنيويَّة . والأمر بالشَّئ أمرٌ به وأمرٌ بما لا يتم إلا به ، ولذلك حثَّ اللّه على معرفة علوم الكون التي يُستخرج بها ما سخَّره اللّه لنا ، لأنَّ منافعها لا تحصُل لنا عفوًا من دون طلب وفكر وتجارب . قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة الحديد ٢٥] .

فهذه المنافع لا تحصل إلا بالمعرفة بفنون الصَّنائع حتى يتم إنتاجها .

وقد تكاثرت نُصوص الكتاب والسُّنَّة على الثَّناءِ على العلم وأهله وتفضيلهم على غيرهم .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الزُّمر ٩] .

وأنَّهم أهل الخشية للَّه والمعرفة به ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [سورة فاطر ٢٨] .

وأمرَ الجُهَّال بسؤال أهل العلم .

وقد أمر بعباداتٍ كثيرة ، وعفا عن مُحرَّمات ، والأمر بالشئ والنَّهي عنه لا يُمكن امتثال الأمر واجتناب النَّهي إلا بعد علمه ومعرفته ، فجميع الأوامر الشَّرعيَّة ، والنَّواهي تدلُّ على وجوب تعلم العلم الذي تتوقف عليه ، كما أنَّه أباح مُعاملات ، وحرَّم مُعاملات ، لا يُمكن تمييز الحلال والحرام منها إلا بالعلم . وقد ذمَّ من لم يعرف حدود ما أُنْزِلَ على رسوله من الكتاب والحكمة .

ومن ذلك أنَّه أمر بالجهاد في عدَّة آيات ، وبإعداد المُستطاع من القوَّة للأعداء ، وأخذ الحذر منهم . ولا يتم ذلك إلاَّ بتعلم

فنون الحرب والصّنائع التي تتوقف القوة والحذر منهم عليها .

وأمر بتعلم أمور التّجارة والأصول الاقتصادية ، حتى إنَّه أمر أن يُبتلى الأولاد الصّغار اليتامى ويُعلَّموا التّجارة وطلب الكسب ، قال تعالى : ﴿ وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [سورة النّساء ٦] .

فلم يأمر بدفع أموالهم إليهم حتَّى يُعلم رُشدهم ، ومعرفتهم لأمور المكاسب والتّجارة .

فهذه الشَّريعة الكاملة أمرت بتعلم جميع العلوم النّافعة : من العلم بالتَّوحيد ، وأصول الدِّين ، ومن عُلوم الفقه والأحكام ، ومن علوم العربيّة ، ومن العلوم الاقتصادية والسِّياسية ، ومن العلوم التي تصلح بها الجماعات والأفراد .

فما من علم نافع في الدِّين والدُّنيا إلا أمرت به هذه الشَّريعة وحثَّت عليها ورغَّبت فيه . فاجتمع فيها العلوم الدِّينيّة ، والعلوم الكونيّة ، وعلوم الدِّين ، وعلوم الدُّنيا . بل إنَّها جعلت العلوم الدُّنيويّة التي تنْفع من علوم الدِّين .

وأمَّا المُتطرفون فإنهم اقتصروا على بعض علوم الدِّين، فقصَّروا وغلطوا غلطًا فاحشًا .

وأمَّا الماديُّون فإنَّهم اقتصروا على بعض علوم الكون ، وأنكروا ما سواها ، فألحدوا ومرجت أديانهم وأخلاقهم ، وصارت علومهم حاصلها أنها صنائع جوفاء ، لا تُزكِّي العقول والأرواح ، ولا تُغذِّي الأخلاق . فكان ضررها عليهم أعظم من نفعها ، فإنَّهم انتفعوا بها من جهة ترقية الصَّنائع والمُخترعات وتوابعها ، وتضرروا من جهتين :

إحداهما : أنَّها صارت أكبر نكبة عليهم وعلى جميع البشر ، لما ترتب عليها من الفناء والحُروب المُهلكة والتَّدمير .

الثَّانية : أنَّهم أعجبوا بها واستكبروا ، فحقَّروا لذلك علوم الرُّسل وأمور الدِّين﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة غافر ٥٦] . ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُم

مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون﴾ [سورة الأحقاف ٢٦] . ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون﴾ [سورة غافر ٨٣] .

فتبيَّن مما ذكرنا أنَّ العُلوم النَّافعة في العاجل والآجل هي : العلوم التي جاءت في كتاب اللَّه وسُنَّة رسول الله ، وأنَّها احتضنت كل علم نافع ، ومعرفة صحيحة ، لا فرق بين الأصولِ والفروع ، ولا بين الدِّينية والدُّنيويَّة ، كما احتضنت عقيدتها الإيمان بكلِّ حقٍ وحقيقة ، وبكُلِّ كتاب أنزله الله ، وكل رسولٍ أرسله الله . والحمد لله .

(الدِّين الصَّحيح يحلُّ جميع المشاكل ص ١٥- ٢٠) .

* * *

الومضة الثَّالثة :

طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله

* قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة العنكبوت ٦٩] .

(بالعون والنصر والهداية ، على أنَّ أحرى النَّاس بموافقة الصَّواب ، أهل الجهاد ، وعلى أنَّ من أحسن فيما أُمر به ، أعانه الله ، ويسَّر له أسباب الهداية ، وعلى أنَّ من جدَّ واجتهد في طلب العلم الشَّرعي فإنه يَحصُل له من الهداية ، والمعونة على تحصيل مطلُوبه ، أمور إلهية خارجة عن مَدرَك اجتهاده ، وتَيسِّر له أمر العلم ، فإنَّ طلب العلم الشَّرعي من الجهاد في سبيل الله ، بل هو أحد نوعي الجهاد الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق ، وهو الجهاد بالقول واللسان ، للكفار والمنافقين ، والجهاد على تعليم أمور الدِّين ، وعلى ردِّ نزاع المُخالفين للحق ولو كانوا مُسلمين[٦])اهـ .

(٦) قال العلامة السعدي في« السياسة الشَّرعيَّة » ص ١٢ :

الومضة الرابعة :

أهمية نشر العلم الشرعي

قال تعالى :﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن

= (الجهاد نوعان: جهاد يُقصدُ به صلاح المسلمين وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم وجميع شئونهم الدِّينية والدُّنيوية، وفي تربيتهم العمليَّة وهذا النَّوع هو أصل الجهاد وقوامه، وعليه يتأسس النَّوع الثَّاني، وهو جهاد يُقصدُ به دفع المُعتدين على الإسلام والمُسلمين من الكفار، والمنافقين والمُلحدين وجميع أعداء الدِّين ومقاومتهم. وهذا نوعان: جهاد بالحجة والبرهان واللسان، وجهاد بالسِّلاح المُناسب في كل وقتٍ وزمانٍ). اهـ

قال العلامة محمد بن صالح العُثيمين في « شرح رياض الصالحين » ٣ / ٣٢١:

(والعلم جهاد، جهاد في سبيل الله، وعليه يُبنى الجهاد وسائر الإسلام، لأنَّ من لا يعلم لا يُمكن أنْ يعمل على الوجه المطلوب.

ولهذا قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ سورة التوبة ١٢٢.

يعني لولا نفر بالجهاد من المؤمنين من كل فرقة منهم طائفة، وقعدت =

كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [سورة التوبة ١٢٢] .

(أي :ليتعلموا العلم الشّرعي ، ويعلموا معانيه ، ويفقهوا أسراره ، وليُعلموا غيرهم ، ولِيُنذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

ففي هذا فضيلة العلم ، خصوصا الفقه في الدِّين ، وأنّه من أهم

= طائفة أخرى ليتفقهوا – أي: الطائفة القاعدون في الدِّين – ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم – أي: رجعوا من الغزو – لعلهم يحذرون، فجعل الله تعالى الفقه في الدين مُعادلاً للجهاد في سبيل الله، بل أولى منه، لأنّه لا يُمكن أنْ يُجاهد المُجاهد، ولا أنْ يُصلى المُصلي، ولا أنْ يُزكي المُزكيّ، ولا أن يصوم الصّائم، ولا أن يحُجَ الحاج، ولا أن يعتمر المُعتمر، ولا أن يأكل الآكل، ولا أن يشرَب الشّارب، ولا أنْ ينام النّائم، ولا أنْ يستيقظ المُستيقظ إلا بالعلم، فالعلم أصل كل شئ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : من يُرد الله به خيرًا يُفقهه في الدين .

ولا فرق بين المُجاهد الذي يُسوي قلل قوسه، وبين طالب العلم الذي يستخرج المسائل من بطون الكتب، كل منهم يعمل للجهاد في سبيل الله، وبيان شريعة الله لعباد الله) .اهـ

والقلل : بكسر القاف، خشبُ القوس .

الأمور ، وأنَّ من تعلم علمًا فعليه نشره وبثه في العباد ، ونصيحتهم فيه ، فإنَّ انتشار العلم عن العالم من بركته وأجره الذي ينمي .

وأمَّا اقتصار العالم على نفسه ، وعدم دعوته إلى سبيل اللّه بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وترك تعليم الجُهَّال ما لا يعلمون ، فأيُّ منفعة حصلت للمسلمين منه ؟ ، وأي نتيجة نتجت من علمه ؟

وغايته أنَّ يموت فيموت معه علمه وثمرته ، وهذا غاية الحرمان ، لمن أتاه اللّه علمًا ، ومنحه فهمًا) .اهـ

(تيسير الكريم الرحمن ص ٣١٢) .

(ومن آداب العالم والمتعلم : النُّصح ، وبثُّ العلوم النَّافعة بحسب الإمكان حتى لو تعلَّم الإنسان مسألة واحدة ، ثُمَّ بثَّها ، كان من بركة علمه[٧] ، لأنَّ ثمرات العلم أنْ يأخذه النَّاس

(٧) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : بلغوا عنِّي ولو آية.

أخرجه البخاري في صحيحه: (كتاب أحاديث الأنبياء / باب ما ذُكر عن بني إسرائيل / ح ١٦٤٣). =

عنك ، فمن شحَّ بعلمه ، مات علمه قبل أن يموت ، كما أنَّ من بثَّ علمه كان له حياة ثانية ، وجازاه اللَّه من جنس عمله) . اهـ (فوائد في آداب المُعلِّمين ص١٣) .

❊ ❊ ❊

= والترمذي في سننه (كتاب العلم / باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل / ح ٢٦٦٩).
وأحمد في المُسند (٢ / ١٥٩).

الومضة الخامسة :

البعد عن الكتاب والسُّنَّة تعلُّمًا وتعليمًا من أسباب تداعي الأمم على المسلمين

قال تعالى : ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [سورة الإسراء ٨] .

(وفي هذه الآيات التَّحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي لئلا يُصيبهم ، ما أصاب بني إسرائيل ، فسُنَّة اللَّه واحدة لا تُبدل ولا تُغير .

ومن نظر إلى تسليط الكفرة والظَّلمة على المُسلمين عرِف أنَّ ذلك ، من أجل ذنوبهم عقوبةً لهم ، وأنهم إذا أقاموا كتاب الله ، وسُنَّة رسوله ، مكَّن لهم في الأرض ، ونصرهم على أعدائهم) .أهـ

(تيسير الكريم الرحمن ص ٤٠٦) .

* * *

الومضة السادسة :

من أصول طلب العلم الشرعي

١ – الإخلاص الكامل :

(يتعيَّنُ على أهل العلمِ من المُتعلِّمين والمُعلِّمين : أنْ يجعلُوا أساس أمرهم الذي يبنون عليه حركاتهم وسكناتهم : الإخلاص الكامل ، والتَّقرب إلى اللّٰه بهذه العبادة التي هي أجَلُّ العبادات وأكملها نفعًا ، ويتفقدوا هذا الأصل النَّافع في كل دقيق من أمورهم و جليل .[٨]

فإن درسوا أو دارسوا ، أو بحثوا أو ناظروا ، أو أسمعوا أو

---

(٨) عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى.

متفق عليه.

أخرجه البخاري في غير موضع من صحيحه، منها: (كتاب بدء الوحي / باب بدء الوحي / ح ١).

وأخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الإمارة / باب قول النَّبي ﷺ : إنَّما الأعمال بالنيات / ح ١٥٥).

استمعوا ، أو كتبوا أو حفظوا ، أو كررُّوا دروسهم الخاصة ، أو راجعوا عليها أو على غيرها من الكتب الأخرى ، أو جلسوا مجلس علم ، أو نقلوا أقدامهم لمجالس العلم ، أو اشتروا كتبًا ، أو ما يُعين على العلم : كان الإخلاص لله ، واحتساب أجره وثوابه مُلازمًا لهم ، ليصيرَ اشتغالهم كُله قوةً وطاعةً ، وسيرًا إلى الله ، وإلى كرامته ، وليتحققوا بقوله ﷺ : من سلكَ طريقًا يلتمس فيه علمًا ، سهَّل اللَّه له طريقًا إلى الجنَّة .(٩)

فكُل طريق حسي أو معنوي يسلكه أهل العلم يُعين على العلم أو يُحصله ، فإنَّه داخل في هذا) . اهـ .

(فوائد في آداب المعلمين والمتعلمين ص ٣) .

٢- البداءة بالأهم :

قال العلامة السَّعدي في الفوائد المُستفادة من قصة موسى والخضر - عليهما السلام - :

(ومنها : البداءة بالأهمِّ فالأهم .

(٩) سبق تخريجه في ص ١٤ الحاشية رقم (٣).

فإن زيادة العلم، وعلم الإنسان، أهم من ترك ذلك والاشتغال بالتَّعليم، ومن دون تزود بالعلم.

والجمع بين الأمرين أكمل) .اهـ

(تيسير الكريم الرحمن ص ٤٣٣) .

(ثم بعد هذا يتعين البداءة بالأهمّ فالأهم من العلوم الشَّرعية، وما يُعين عليها من علوم العربية، وتفصيل هذه الجملة كثير معروف، يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص وينبغي أنْ يُسلك أقرب طريق يُوصِل إلى المقصود الذي يطلبه، وأنْ ينتقي من مصنفات الفن الذي يشتغل فيه أحسنها و أوضحها ،وأكثرها فائدة .

ويجعل جُلَّ همه واشتغاله بذلك الكتاب حفظًا عند الإمكان، أو دراسة تكرير بحيثُ تصير معانيه معقولةً في ذهنه محفوظةً، ثم لا يزال يُكرِّر ما مر عليه ويُعيده) .اهـ

(فوائد في آداب المعلمين والمتعلمين) ص ٤ .

٣ – اتّباع أهل الحق ، وطرح مقالات أهل البدع .

قال تعالى : ﴿ فلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ [سورة طه ١٦] .

(وفي هذا تنبيه وإشارة إلى التّحذير عن كل داعٍ إلى باطل ، يصُد عن الإيمان الواجب ، أو عن كماله(١٠) ، أو يُوقع الشُّبهة في القلب ، وعن النَّظر في الكتب المشتملة على ذلك) .اهـ

(تيسير الكريم الرحمن) ص . ٤٥٣

٤– الصبر في طلب العلم :

قال تعالى : ﴿ لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا

---

(١٠) الإيمان الواجب وهو ما يُسمى أيضًا: « الإيمان المُطلق »، يعني الذي لا يقوم إيمان العبد إلا به، فإذا نُزِعَ عن العبد خرج من ملة الإسلام، أمّا كمال الإيمان فهو ما يُطلق عليه « مُطلق الإيمان » ويصح مع نفيه انتساب العبد لملة الإسلام .

ومثال الأوَّل : قوله عز وجل : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة البقرة ٨ .

ومثال الثاني : قوله عز وجل : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ سورة الحُجُرات ١٤.

جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [سورة القيامة ١٦ - ١٩].

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ [سورة طه ١١٤].

(ويُؤخذ من هذه الآية الكريمة ، الأدب في تلقي العلم ، وأنَّ المُستمع للعلم ينبغي له أنْ يتأنَّى ويصبر ، حتى يفرُغ المُملي والمُعلم منه ، سألَ إنْ كان عنده سؤال ، ولا يُبادر بالسُّؤال ، وقطع كلام مُلقي العلم فإنَّه سبب للحرمان ، وكذلك المسؤول ، ينبغي له أنْ يستملي سؤال السَّائل ، ويعرف المقصود منه قبل الجواب ، فإنَّ ذلك سببٌ لإصابة الصَّواب) .اهـ

(تيسير الكريم الرحمن) ص ٤٦٤ .

وقال في فوائد قصة موسى مع الخضر :

(ومنها : أنَّ السَّبب الكبير لحُصول الصَّبر ، إحاطة الإنسان علمًا وخِبرةً بذلك الأمر الذي أُمِرَ بالصَّبر عليه ، و إلاَّ فالذي لا يدريه ، أو لا يدري غايته ولا نتيجته ، ولا فائدته وثمرته ليس

عنده سبب الصَّبر لقوله : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [سورة الكهف ٦٨] .

فجعل الموجب لعدم صبره عدم إحاطته خبرًا بالأمر) .اهـ
(تيسير الكريم الرحمن) ص ٤٣٤ .

٥- عرض الأقوال على الكتاب والسُّنَّة :

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ [سورة الأنعام ١٢١] .

(ودَلَّت هذه الآية الكريمة على أنَّ ما يقع في القلوب من الإلهامات ، والكُشوف التي يَكثُر وقوعها عند الصُّوفية ونحوهم لا تدُل بمُجردها على أنَّها حق ، ولا تُصدَّق حتى تُعرض على الكتاب والسُّنَّة ، فإنْ شهدَا لها بالقبول قُبلت ، وإنْ ناقضتهُما رُدَّت ، وإنْ لم يُعلم شئٌ من ذلك توقف فيها ولم تُصدَّق ، ولم تُكذَّب ، لأنَّ الوحي والإلهام يكون من الشَّيطان فلابدَّ من التَّمييز بينهما والفُرقان .

وبعدم التَّفريق بين الأمرين حَصُلَ من الغلط والضَّلال ما لا يُحصيه إلا الله) .اهـ

(تيسير الكريم الرحمن) ص ١٥ .

٦- العدل في النقد :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ ﴾ [سورة الأنعام ١٥٢] .

(فاعدلوا بمُراعاة الصِّدق في من تُحبون ، ومن تكرهون ، وبالإنصاف وعدم كتمان ما يلزم بيانه ، فإن الميل على من تكره بالكلام فيه ، أو في مقالته من الظُّلم المُحرم .

بل إذا تكلم العالم على مقالات أهل البدع ، فالواجب أنْ يُعطي كل ذي حقٍ حقه ، وأنْ يُبين ما فيها من الحق والباطل ، ويعتبر قُربها من الحق ، وبُعدها منه .

وذكر الفقهاء أنَّ القاضي يجِبُ عليه العدل بين الخصمين في لحظِهِ ولفظِهِ) .اهـ

(تيسير الكريم الرحمن) ص ٢٤٣ .

(والحذر الحذر[١١] من التَّعصب للأقوال والقائلين ، وهو أنْ

(١١) هذا من باب التوكيد اللفظي، ويؤتى به لأمور منها : التقرير، أو =

يُجعل القصد من المُناظرة والمُباحثة نصر القول الذي قاله ، أو قاله من يُعظمه ، فإنَّ التَّعصب مُذهِبٌ للإخلاص ، مُزيلٌ لبهجة العلم ، مُعمٍ للحقائق ، فاتحٌ باب الحقد والخصام الضَّار ، كما أنَّ الإنصاف هو زينة العلم وعنوان الإخلاص والنُّصح والفلاح) .اهـ

(فوائد في آداب المعلمين والمتعلمين) ص ١٠ .

٧- الإتصافُ بما يدعو إليه العلم من أخلاق :

(ومن أعظم ما يتعينَّ على أهل العلم : الإتِّصاف بما يدعو إليه العلم من الأخلاق ، والأعمال والتَّعاليم ، فهو أحق الناس بالإتِّصاف بالأخلاق الجميلة ، والتَّخلي عن كل خلق رذيل .

وهُم أولى النَّاس بالقيام بالواجبات الظَّاهرة والباطنة ، وترك المُحرمات لِما تميَّزوا به من العلم والمعارف التي لم تحصُل

= خوف النسيان، أو عدم الإصغاء أ و عدم الاعتناء .
(النحو المُصفَّى، د. محمد عيد) .
وغرض العلامة السعدي – رحمه الله – منه حمل السّامع على الاهتمام به خشية الوقوع في عدم الاعتناء به .

لغيرهم ، ولأنَّهم قدوة للنَّاس ، والنَّاس مجبولون على الإقتداء بعلمائهم شاءوا أمْ أبوا في كثير من أُمورهم ، ولأنَّهم يتطرق إليهم من الاعتراض والقوادح عندما يتركون ما يدعو إليه العِلم أعظم مما يتطرق على غيرهم .

وأيضًا كان السَّلف يستعينون بالعمل على العلم ، فإنْ عمل به المُعلم استقر ودام ونما وكثُرت بركته ، وإنْ ترك العمل به ذهب أو عُدمت بركته ، فروح العلم وحياته وقوامه ، إنَّما هو بالقيام به : عملًا ، وتخلقًا ، وتعليمًا ونُصحًا ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم) .اهـ

٨- الدَّعوة إلى الله بالحكمةِ والموعظة الحسنةِ :

قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [سورة النحل ١٢٥] .

(من الحكمة الدَّعوة بالعلم ، لا بالجهل ، البداءةُ بالأهمِّ فالأهم ، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم ، وبما يكون قبوله أتم ، وبالرِّفق واللين ، فإنْ إنقاد بالحكمة و إلا فيُنتقل إلى الدَّعوة معه

بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنَّهى المقرون بالترغيب والتَّرهيب .

إمَّا بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها ، والنَّواهي من المضار وتعدادها ، وإمَّا بذكر إكرام من قام بدين الله ، وإهانة من لم يقم به .

وإمَّا بذكر ما أعدَّه اللَّه للطَّائعين ، من الثَّواب العاجل والآجل ، وما أعدَّ للعاصين من العقاب العاجل والآجل ، فإنْ كان المدعو يرى أنَّ ما هو عليه حق ، أو كان داعية إلى الباطل ، فيُجَادَلُ بالتي هي أحسن ، وهي الطُّرق التي تكون أدعى لإستجابته عقلًا ونقلًا .

ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي يعتقدها ، فإنَّهُ أقرب إلى حصول المقصود ، و أنْ لا تؤدِّي المُجادلة إلى خصام ومُشاتمة تُذهب بمقصودها ، ولا تَحصُل الفائدة منها ، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق ، لا المُبالغة ونحوها) .اهـ

(تيسير الكريم الرحمن ص ٤٠٤) .

٩- نبذ الفُرقة، وتوحيد الكلمة :

(ومن أهم ما يتعينَّ على أهل العلم مُعلِّمين أو مُتعلِّمين : السَّعي في جمع كلمتهم، وتأليف القلوب على ذلك، وحسم أسباب الشَّرِّ والعداوة والبغضاء بينهم، وأنْ يجعلوا هذا الأمر نَصب أعينهم، يسعون له بكل طريق، لأنَّ المطلوب واحد، والقصد واحد، والمُصلحة مُشتركة .

فيُحققون هذا الأمر بمحبَّة كل من كان من أهل العلم، ومن له قَدَمٌ فيه واشتغال ونفع، ولا يدَعون الأغراض الضَّارة تملُكهم وتمنَعهُم من هذا المقصود الجليل، فيحب بعضهم بعضًا، ويذُبُّ بعضهم عن بعض، ويبذلون النَّصيحة لمن رأوه مُنحرفًا عن الآخر، ويُبرهِنون على أنَّ النِّزاع في الأمور الجُزئيَّة التي تدعو إلى ضد المحبة والائتلاف، لا تُقدَّم على الأمور الكُلية التي فيها جمعُ الكلمة، ولا يدَعونَ أعداء العلم من العوام وغيرهم يتمكنون من إفساد ذاتِ بينهم وتفريق كلمتهم .

فإنَّ في تحقيق هذا المقصد الجليل والقيام به من المنافع ما لا

يُعد ولا يُحصى ، ولو لم يكن فيه إلا أنَّ هذا هو الدِّين الذي حثَّ عليه الشَّارع بكل طريق ، وأعظم من يُلزمُ به أهله ، وأنَّه من أعظم الأدلة على الإخلاص والتَّضحية اللذين هُما روح الدِّين ، وقُطب دائرته ، وأنَّ بهذا الأمر يتَّصف العبد أنْ يكون من أهل العلم الذين هم أهلُه الذين ورد في الكتاب والسُّنَّة من مدحهم والثَّناء عليهم ما لا يتَّسع هذا الموضع لذكره) .اهـ

(فوائد في آداب المعلمين والمتعلمين) ص ١٤ .

* قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام ١٥٩] .

(ودلَّت الآية الكريمة على أنَّ الدِّين يأمرُ بالاجتماع والائتلاف ، وينهى عن التَّفرقِ والاختلافِ في أصل الدِّين ، وفي سائر مسائله الأُصولية والفُروعيَّة .

وأَمَرَهُ أنْ يتبرأ ممن فرَّقوا دينهم فقال : ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ أي : لستَ منهُم وليسوا منكَ لأنَّهم خالفوكَ وعاندوكَ) .اهـ

(تيسير الكريم الرحمن ص ٢٤٤).

١٠- عدم القول على اللَّه بغير علم :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة ١٦٩] .

(فيدخُل في ذلك القول على اللَّه بلا علم في شرعه وقدره .

فمن وصف اللَّه بغير ما وصف به نفسه ، أو وصف به رسوله ، أو نفى عنه ما أثبت لنفسه ، أو أثبت له ما نفاه عن نفسه ، فقد قال على اللَّه بلا علم .

ومن زعم للَّه ندًا ، وأوثانًا تُقربُ من عَبَدها من الله ، فقد قال على اللَّه بغير علم .

ومن قال : إنَّ اللَّه أحلَّ كذا ، وحرَّم كذا ، أو أمرَ بكذا ، أو نهى عن كذا ، بغير بصيرة فقد قال على اللَّه بلا علم .

ومن قال اللَّه خلق هذا الصِّنف من المخلوقات للعلةَ الفُلانية(١٢) بلا بُرهان له بذلك ، فقد قال على اللَّه بلا علم .

---

(١٢) الفُلانية : فلان، كناية عن العَلَم المُذكر العاقل، مؤنثه : فُلانة، ممنوعًا من الصرف .

ومن أعظم القول على اللَّه بلا علم أنْ يتأول المُتأول كلامه، أو كلام رسوله على معاني اصطلح عليها طائفة من طوائف الضَّلال، ثم يقول إنَّ اللَّه أرادها.

فالقول على اللَّه بلا علم من أكبر المُحرمات وأشملها، وأكبر طُرق الشَّيطان التي يدعو إليها هو جنوده، ويبذلون مكرهم وخداعهم على إغواء الخلق بما يقدرون عليه.

وأمَّا اللَّه تعالى فإنَّه يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، فلينظر العبد نفسه مع أي الدَّاعين ومن أي الحزبين؟) .اهـ

(تيسير الكريم الرحمن ص ٦٣).

❊ ❊ ❊

= وقد تُزاد: « ال » في أوله فيُكنى بالفُلان والفُلانة عن غير الآدميين، تقول العرب : ركبت الفُلان، وحلبت الفُلانة، كناية عن الحصان والنَّاقة ونحوهما .

(المعجم الوسيط ٢ / ٧٢٨) .

الومضة السابعة :

منطلقاتٌ لتحقيقِ المُراد

١- قال العلاَّمة السعدي - رحمه اللَّه - في فوائد قصة موسى والخضر :

(منها : فضيلة العلم ، والرِّحلة في طلبه ، وأنَّه أهم الأمور ، فإن موسى - عليه السلام - رحل مسافة طويلة ، ولقي النَّصب في طلبه ، وترك القعود عند بنى إسرائيل لتعليمهم وإرشادهم ، واختار السَّفر لزيادة العلم على ذلك) . اهـ

(تيسير الكريم الرحمن ص ٤٣٣) .

٢- الجد في التزام العلماء المشهود لهم بالكفاءة ، و لا يلزم من ذلك نبوغهم في كل العلوم الشَّرعيَّة بل يؤخذ من كل واحد منهم ما تميز به وعدم جواز التَّعلم والتَّلقي على غيرهم ، وتحري الأتقى والأورع منهم :

قال تعالى : ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنبياء ٦] .

(وهذه الآية وإنْ كان سببها خاصًا بالسؤال عن حالة الرُّسل الـمُتقدِّمين من أهل الذِّكر ، وهم أهل العلم ، فإنَّها عامة في كل مسألة من مسائل الدِّين أصوله وفروعه ، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أنْ يسأل من يعلمها .

ففيه الأمر بالتَّعلم والسُّؤال لأهل العلم ، ولم يؤمر بسؤالهم ، إلاَّ لأنَّه يجب عليهم التَّعليم ، والإجابة عمَّا علموه .

وفي تخصيص السُّؤال بأهل الذِّكر والعلم النَّهي عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم ، ونهيٌ له أنْ يتصدى لذلك) .أهـ (تيسير الكريم الرحمن ص ٤٨٦) .

قال اللَّه تعالى : ﴿وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف ٢٢] .

(ففيها دليل على المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوى ، إمَّا لقصوره فى الأمر الـمُستفتى فيه ، أو لكونه لا يُبالي بما تكلم ، وليس عنده ورع يحجزه ، وإذا نهى عن استفتاء هذا الجنس فنهيه هو عن الفتوى من باب أولى وأحرى .

وفى الآية أيضا دليل على أنَّ الشَّخص قد يكون منهيًّا عن استفتائه في شئ دون آخر ، فيستفتي فيما هو أهل له ، بخلاف غيره ، لأنَّ اللَّه لم ينْه عن استفتائهم مطلقًا ، إنَّما نهى عن استفتائهم في قصة أصحاب الكهف وأشباههم) .

(تيسير الكريم الرحمن) ص ٤٢٤ .

٣- إعانة طلاب العلم واجب على من يمتلك القدرة على ذلك ، أو من لا يمتلك ملكات طالب العلم :

قال تعالى : ﴿ فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ ﴾ [سورة التوبة ١٢٢] .

(وفي هذه الآية أيضا دليل وإرشاد وتنبيه لطيف لفائدة مُهمَّة ، وهي أنَّ المسلمين ينبغي لهم أنْ يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها ويوفر وقته عليها ، ويجتهد فيها ، ولا يلتفت إلى غيرها ، ولتقدم مصالحهم وتتم منافعهم ، ولتكون وجهة جميعهم ، ونهاية ما يقصدون قصدًا واحدًا وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم ، ولو تفرقت الطُّرق ، وتعددت المشارب

فالأعمال متباينة ، والقصد واحد ، وهذه هي الحكمة العامة النّافعة فى جميع الأمور) .أهـ

(تيسير الكريم الرحمن ص ٣١٣) .

(قال كثير من الفقهاء : إنَّ تفرغ القادر على الكسب لطلب العلم أُعطي من الزكاة ، لأنَّ العلم داخل في الجهاد في سبيل الله) .اهـ[١٣]

(تيسير الكريم الرحمن) ص . ٣٠١

---

(١٣) وقد نبّه غير واحدٍ من أهل العلم على ضرورة الإنفاق على طلبة العلم ومن أكثر عُلماء زماننا كلامًا في هذه المسألة الشيخ العلاَّمة أبي إسحاق الحويني – حفظه الله ونفع به – حيث قال في غير ما مُحاضرة مُستحثًا النّاس من العوام والمُلتزمين القادرين على ذلك، بل أوجد حلولاً عملية لحل هذه المشكلة، وإليك نص كلامه في شريطٍ من أشرطته.

قال في شريط « أصحاب الجنة » الوجه الأوّل:

(نقول لإخواننا أصحاب الأموال: انتبهوا لطلاب العلم، وانفقوا على طُلاَّب العلم، واشتروا المراجع لطُلاَّب العلم، طبعًا ليس من أموال الزَّكاة، فأنا لا أعلم أحدًا قال بجواز شراء المراجع بأموال الزكاة إلا ابن تيمية، وكلام ابن تيمية يتنزل على من كان مُحتاجًا حاجةً ماسةً إلى الكتاب، يعني يكون رجل له حظوة أو ظهور ومُحتاج الكتاب حتى يقول معلومة خطيرة للجماهير، يتكلم في التوحيد أو الفقه، وهذا الكتاب بالنسبة =

٤- تعاهد العلم بالمذاكرة والتكرار :

(وينبغي تعاهد محفوظات المتعلمين ومعلوماتهم بالإعادة

= للرجل على درجة مُهمة، هنا يمكن أنْ نشتري له الكُتب من أموال الزَّكاة، وأحيانًا يشتري الطالب الكتاب ويضعه على « الرف »، هنا نقول: ملَّك المال له وهو يتصرَّف فيه، بدلاً من أنْ تشتري له أنت الكتاب بمال الزكاة والمسألة فيها خلاف، وأنت لا تدري الطالب يحتاج هذا الكتاب بصورة الكتاب بصورة ماسة أم لا.

طُلاَّب العلم أغلبهم فقراء، وهم ينتقلون من بلدٍ إلى بلد، والانتقال يحتاج نقود، طُلاَّب العلم تأتيهم الناس لحلِّ مشاكلهم فيُضيِّفوهم في بيوتهم، فمن يتحمَّل هذه النفقة، لاسيما أنَّ الدّول أهملت طُلاَّب العلم، ويااليتها تترك طُلاَّب العلم في حالهم، فهم يدخلون عليهم ويأخذون كُتُبهم، وليس بعيدًا أنْ يضموا بيته للأوقاف، كما أخذوا منهم المساجد، فالكتاب الذي وفَّر طالب العلم ثمنه في سنةٍ يأخذه في لمح البصر.

وطُلاَّب العلم وراءهم التزاماتٍ كثيرة، فأنت إذا وجدت اليوم رجُلاً يعظُ النَّاس، ويُفتي النَّاسَ، ويحل مشاكل النَّاس، ونصَّب نفسه وحياته كُلها للنَّاس، هذا ينبغي عليك وعلى أمثالك من أصحاب المال أنْ تُفرغه لأداءِ هذه الرسالة.

فأنت إذا أنفقت على طالب علم، أفضل من أن تُنفق على رجل فقير =

والامتحان ، والحث علىٰ المذاكرة والمراجعة وتكرار الدَّرس ، فإنَّ التَّعلم بمنزلة الغرس للأشجار ، والدَّرس والمذاكرة والإعادة بمنزلة السَّقي لها ، وإزالة الأشياء الضَّارة عنها لتنمو وتزداد على الدَّوام) .اهـ

(فوائد في آداب المعلمين والمتعلمين) ص١٢ .

* * *

= لا تستفيد الأمّة منه، فإن كان لابُد أن تُنفق على فقراء من أرحامك فقسِّم المال وابحث عن طالب علم جيد في بلده له حظوة فاكفله، والمال إذا تعدَّى خيره إلى خيرين أو ثلاثة أفضل من أنْ يتوجه إلى وجه واحد من وجوه الخير).اهـ

الومضة الثامنة :

آدابٌ يجبُ أن يتحلى بها طالب العلم

مستقاة من قصة موسى مع الخضر :

١ - التَّأدب مع المعلم ، وخطاب المتعلم إياه بألطف خطاب ، لقول موسى : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [سورة الكهف ٦٦] .

(فأخرج الكلام بصورة المُلاطفة والمشاورة ، وأنَّك هل تأذن لي في ذلك أم لا ، وإقراره بأنَّه يتعلم منه ، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر الذين لا يُظهرون للمُعلِّم افتقارهم إلى علمه بل يدَّعون أنَّهم يتعاونون هم وإيَّاه ، بل رُبما ظنَّ أحدهم أنَّه يُعلم مُعلمه ، وهو جاهل جدًا ، فالذُّل للمعلم وإظهار الحاجة إلى تعليمه(*) .

٢ - تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه ، فإنَّ موسى - بلا شك - أفضل من الخضر .

(*) من أنفع الأشياء للمتعلم .

٣ـ تعلم العالم الفاضل ، للعلم الذي لم يتمهَّر فيه ، ممن مهر فيه ، وإنْ كان دونه في العلم بدرجات كثيرة ، فإنَّ موسى عليه السلام من أولي العزم من المُرسلين الذين منحهم الله ، وأعطاهم من العلم ، ما لم يعط سواهم ، ولكن في هذا العلم الخاص كان عند الخضر ما ليس عنده ، فلهذا حرص على التَّعلم منه .

فعلى هذا ينبغي للفقيه المحدث إذا كان قاصرًا في علم النَّحو ، أو الصرف أو نحوهما من العلوم أنْ يتعلمه ممن مهر فيه ، وإنْ لم يكن محدِّثًا ولا فقيهًا .

٤ـ إضافة العلم وغيره من الفضائل للّه تعالى ، والإقرار بذلك ، وشكر اللّه عليه لقوله : ﴿ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ ﴾ [سورة الكهف ٦٦] .

أي ممَّا علمك الله .

٥ـ أنَّ المعلم إذا رأى المصلحة في إيزاعه للمتعلم ، أنْ يترك الإبتداء في بعض الأشياء ، حتى يكون المعلم هو الذي يوقف عليها ، فإنَّ المصلحة تُتَّبع ، كما إذا كان فهمه قاصرًا أو نهاه عن

الدّقيق في سؤال الأشياء التي غيرها أهم منها ، أو لا يُدركها ذهنه أو يسأل سؤالًا لا يتعلق بموضع البحث .

٦ـ استعمال الأدب مع اللّه في الألفاظ ، فإن الخضر أضاف عيب السَّفينة إلى نفسه بقوله : ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [سورة الكهف ٧٩] .

وأما الخير فأضافه إلى اللّه تعالى لقوله : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [سورة الكهف ٨٢] .

كما قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [سورة الشعراء ٨٠] .

وقالت الجن : ﴿ وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [سورة الجن ١٠] .

مع أنَّ الكل من اللّه) .

❊ ❊ ❊

*** حق المعلم على المتعلم :**

قال العلامة السعدي في « آداب المعلمين والمتعلمين » ص ٦ :

(وعلى المُتعلم أنْ يوقر معلمه ، ويتأدب معه غاية ما يقدر عليه لما له من الحق العام والخاص.

- أمَّا العام :

فإنَّ مُعلم الخير قد استعد لنفع الخلق بتعليمه وفتواه ، فحقه على النَّاس حق المحسنين ، ولا إحسان أعظم وأنفع من إحسان من يُرشد الناس لأمر دينهم ويعلمهم ما جهلوا ، ويُنبههم لما عنه غفلوا ، ويحصل من الخير وانقماع الشَّرِّ ، ونشر الدين والمعارف النافعة ما هو من أنفعه شئ للموحدين ، ولمن أتى من بعدهم من ذريتهم وغيرهم ، فلولا العلم كان النَّاس كالبهائم في ظلمة يتخبطون ، فهو النُّور الذي يُهتدي به فى الظُّلمات ، والحياة للقلوب والأرواح في الدِّين والدُّنيا ، والبلد الذي ليس فيه من يُبين للنَّاس أمور دينهم ، ويُرشدهم لما ينتابهم مما هم في

غاية الضرورة إليه ، قد فقد أهله من ضروراتهم ومصالحهم ما يضر فقده بدينهم ودنياهم .

فمن كان هذا إحسانه ، وأثره على الخلق : كيف لا يجب على كل مسلم محبته وتوقيره ، والقيام بحقوقه ؟ .

- **وأما حقه الخاص على المتعلم :**

فلما بذله من تعليمه ، والحرص على ما يرشده ويوصله إلى أعلى الدرجات ، فليس نفع الآباء والأمهات نظيرًا لنفع المعلمين المربين للناس بصغار العلم قبل كباره الباذلين نفائس أوقاتهم ، و صفوة أفكارهم في تفهيم المسترشدين بكل طريق ووسيلة يقدرون عليها .

وإذا كان من أحسن إلى الإنسان بهديَّة ماليَّة ينتفع بها ، ثم تزول وتذهب ، له حق كبير على المحسن إليه ، فما الظن بهدايا العلم النَّافع الكثيرة المتنوعة ، الباقي نفعها ما دام العبد حيًّا وبعد مماته ، المُتسلسل بحسب حال تلك الهدايا ؟

فحينئذ يعرف أنَّ له من الحق والتَّوقير ، وحسن الأدب معه ،

والوقوف مع إشارته ، وعدم الخروج عما أشار إليه مما ينفعه من الأمور التي قد جربها ، وهو أعرف بها منه من كيفيات التَّعليم ونحوها ما ليس لغيره .

وليجلس بين يديه متأدبًا ، ويُظهر غاية حاجته إلى علمه ، ويدع له حاضرًا وغائبًا ، وإذا أتحفه بفائدة أو توضيح لمشكل ، فلا يُظهر أنَّه قد عرفه قبله ، وإنْ كان عارفًا له ، بل يصغي إليه إصغاء المتطلب بشدة للفائدة .

هذا فيما يعرفه ، فكيف بما لم يعرفه ؟ .

ولهذا كان هذا الأدب مُستحسنًا مع كل أحد في العلوم والمُخاطبات في الأمور الدِّينيَّة والدُّنيوية .

وإذا أخطأ المُعلم في شئ فليُنبهه برفق ولطف بحسب المقام ، ولا يقول له : أخطأت ، أو ليس الأمر كما تقول ، بل يأتى بعبارة لطيفة يدرك بها المعلم خطأه من دون أنْ يشوش قلبه ، فإنَّ هذا من الحقوق اللازمة ، وهو أدعى إلى الوصول إلى الصَّواب .

فإنَّ الرَّد الذي يصحبه سوء الأدب وإزعاج القلب ، ويمنع من تصور الصَّواب ومن قصده) . أهـ

وإلى هنا انتهى جمع مادة هذه الرسالة .

ولله الحمد والمنة

أبو أُسامة الأثري

فهرس الآيات القرآنية

« حرف الهاء »

❊ ❊ ❊

« فهرس أطراف الأحاديث النبوية »

* * *

فهرس الموضوعات

الموضـوع الصفحة

الموضـوع الصفحة

❊ ❊ ❊